المسئولية الفردية للمرأة المسلمة

ونماذج تطبيقية لبعض الشخصيات النسائية

تأليف

بريدا ويراج صمدي

قطر الندى

٢١٠
ب م

المسئولية الفردية للمرأة المسلمة

ونماذج تطبيقية لبعض الشخصيات النسائية

إعـــداد

بريدا ويراج صمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ

رقم الإيداع: ٢٢٢٦٠/ ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: 977-6137-22-9

قطر الندى للنشر والتوزيع

ص. ب ١٥٤ الأورمان جيزة

الرمز البريدي ١٢٦١٢

ت/ ٠١٠٦٠٩٩٥٣٨

katrelnada@gawab.com

مقدمة

إن استشعار المسئولية الفردية صفة أساسية من صفات المسلم، فبها تُؤَدَّى الفرائض والواجبات، وتَتَحَقَّقُ الأهداف والغايات، والمرأة صِنْو[1] الرجل في هذه الأمور، ولذلك يَهْدِف هذا الكتيب إلى بيان معنى المسئولية الفردية، ووجوب استشعار المرأة المسلمة لهذا المعنى، وتأصيله من حيث الرؤية الشرعية، كما يهدف إلى بيان أبعاد ومجالات المسئولية الفردية للمرأة المسلمة، وينبه على بعض المفاهيم الخاطئة حول مفهوم المسئولية الفردية، ثم يعرض نماذج تطبيقية من المسئولية الفردية من بعض الشخصيات النسائية على مدار التاريخ الإنساني.

تحديد وبيان:

يُقصد بالمسئولية الفردية: التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، أو هي استعداد الشخص للاعتراف بعمل أو نتيجة عملٍ قام به وتحمل النتائج التي تترتب عليه.[2]

(١) صنو: أي مثل وشبيه.

(٢) انظر في معنى المسئولية: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية، (د.ت)، ج١، ص٤٢٦، مادة (س ء ل). ود. علي عبد الحليم محمود، فقه المسئولية، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ص ٩٩.

ومثل كل صفات المسلم في أنها نابعة عن عقيدته وإيمانه بالله، فكذلك استشعار المسئولية الفردية ناشئة عن ذلك المعنى الإيماني المغروس في أعماق المسلم أنه سيأتي يومٌ يقف فيه العبد بين يدي الله ﷻ يحاسبه فيها على الصغيرة والكبيرة، وعلى النقير والقطمير، ويسأله عما قدَّم من الأعمال والأقوال، بل عما اختلج في مكنون نفسه من الخطرات والأسرار، وهذه العقيدة المترسِّخة في نفس المؤمن نتجت عن جملة من النصوص منها:

* ويقول سبحانه عزَّ من قائل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

* ويقول ﷻ:﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

* ويقول الرسول ﷺ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاّ سيُكَلِّمُه ربُّه لَيْس بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَان، فَينْظُرَ أَيْمنَ منهُ فَلا يَرى إلاّ مَا قَدَّم، وينْظُر أشأَمَ منهُ فلا يَرَى إلاّ ما قَدَّمَ، وَينْظُر بَيْنَ يدَيْه فَلا يَرى إلاّ النَّارَ تلْقَاءَ وَجْهِه، فاتَّقُوا النَّارَ ولوْ بِشقِّ تَمْرةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجدْ فَبِكَلِمَةٍ طيِّبَةٍ» [حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم].

فينتج عن هذه العقيدة الإيمانية أن يُتقنَ العبدُ عملَه حتى يصلَ إلى درجة الإحسان، وهو أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، فيُحَسِّن عملَه كله: دِقَّه وجِلَّه، علانيته وسره، يقينًا منه وإعدادًا لذلك الموقف الرهيب مع المولى جل شأنه.

أولاً: التأصيل الشرعي للمسئولية الفردية للمرأة المسلمة

تنبني الرؤية الشرعية لقضية «المسئولية الفردية للمرأة» على أساس أن المرأة كالرجل تمامًا في هذا المبدأ لا تختلف عنه في أصلٍ ومبدإِ المسئولية، وأنها محاسبةٌ ومسئولةٌ مسئوليةً ذاتيةً عما صَدَرَ منها من أعمال، وتُجازَى على ما فعلت، كما أنها لا تَتَحَمَّلُ المجازاةَ على عملٍ صدر من شخص آخر غيرَ ذاتها حتى ولو كان زوجها، وهذه الرؤية الشرعية يحكمها إطار ضابط يقوم على ثلاثة أسسٍ هي:

١- المساواة الإنسانية:

وهي تعني أن المرأة كالرجل في أصْل الخلق، وتختلف عنه في بعض الخصائص باعتبارها أنثى، أما الأصل فمتّحد، وهذا هو ما تقرر في القرآن فقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، فلفظ: ﴿النَّاسُ﴾: اسم للجمع من بني آدم، واحده: إنسان[١]، ويشمل الرجل والمرأة، فيُذَكَّر ويُؤَنَّث فيقال: هو إنسان، وهي إنسان، وتُبيِّن الآية اشتراك الذكر والأنثى في أصْل الخِلقة، وأنه لا فضل

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة (ن و س)، ج١، ص ١٠٠١.

لأحدهما على الآخر إلا بمقياس ومعيار خارجيّ لا علاقة له بنوع الجنس، ألا وهو: «التقوى»، فهو معيار محايد يستطيع أن يحصِّله أيًا من الجنسين باجتهاده، فهما مؤهَّلان من حيث الخِلقة للقيام بالمهمة الربانية الموكولة إليهما: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]؛ فاستخلاف الإنسان يشمل الرجال والنساء، وعلى هذا التأصيل والتقرير جرت عدة آيات من القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[الإسراء:٧٠]، ويقول جلَّ شأنه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].(1)

٢- أهلية التكليف:

يقصد بأهلية التكليف(2) صلاحية المرأة للالتزام بأوامر الله ﷻ ونواهيه، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

(١) انظر في معنى المساواة الإنسانية: البهي الخولي، الإسلام والمرأة المعاصرة، الكويت: دار القلم، ط٤، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، (ص١٩-٢٢). وهبة رؤف عزت، المرأة والعمل السياسي (رؤية إسلامية)، (رسالة ماجستير منشورة)، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)، ص(٥٦-٥٩).

(٢) انظر في معنى الأهلية وأنواعها عند الأصوليين: وزارة الأوقاف بالكويت، الموسوعة الفقهية، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط٢، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ج٢، ص ٢٧٤.

جَهُولاً﴾[الأحزاب:٧٢]، والأمانة هنا تعني التكليف[١] وقبول أوامر الله ونواهيه بشرطها وهو أنه إن قام الإنسان بذلك أثيب وإن تركها عوقب، ومناط التكليف هنا هو التمييز بالعقل، فلا دخل للجنس هنا، فخطاب الله سبحانه مُوَجَّه للذكر والأنثى، و يُؤكِّد هذا التأصيل من سنة رسول الله ﷺ حديث عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّمَا النِّسَاء شَقَائِق الرجالِ**» [حديث حسن، رواه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي]، قال أبو سليمان الخطابي في معالم السنن: «وفيه – أي: وفي الحديث من الفقه- أن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابًا للنساء إلا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص عليها»[٢]، أي: أن الأصل العموم إلا ما خُصِّصَ، وعلى هذا التأصيل جرى عمل الفقهاء والأصوليين منذ عصر الصحابة إلى وقتنا الحاضر، فهذه أم سلمة (رضي الله عنها) تسمع رسول الله ﷺ وهو ينادي: «**أَيهَا النَّاس**» وهي تمتشط فتقول لماشطتها: استأخري عني، فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدعُ النساء. فقالت أم سلمة: «**إِنّي مِن النَّاسِ**» [حديث صحيح، رواه أحمد و مسلم، واللفظ له]، فهذا هو الفهم الصحيح.

---

(١) انظر: إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار المعرفة، ط٩، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ج٣، ص٥٣٠.

(٢) أبو سليمان الخطابي، معالم السنن، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د.ت)، ج٢، ص ٣١١.

٣- وحدة الجزاء والحساب:

ونعني به: أن كلاً من المرأة والرجل محاسب على ما كسبت يداه ومجازًى به يوم القيامة، وأن الأصل في الثواب والعقاب على عمل كل واحد بمفرده، وقد أُفرد هذا الأصل بالتقرير؛ لبيان أهميته ولكثرة الأدلة الشرعية التي تؤكد استقلالية المرأة في العمل والجزاء، يقول الله تعالى: ﴿وأن لَّيْسَ لِلإنسَانِ إلا مَا سَعَى﴾[النجم: ٣٩]، ويقول: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾[النور:١١]، ويقول أيضًا: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١]، ويقول ﷻ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ولِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[النساء: ٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

* * *

ثانيًا: مجالات المسئولية الفردية للمرأة المسلمة

المجال الأول: مسئولية التطوير الذاتي:

إن الازدياد والارتقاء والعلو سمة أساسية من سمات المرأة المؤمنة الحقّة كما يقول الله تعالى: ﴿وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾، ثم يقول سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾[الأنفال:٢-٤]، وما التطوير إلا آلية وأداة للازدياد، ومن لم يكن في ازدياد فهو في نقصان، وفي الأثر: «مَنْ كَانَ يَوْمُه مِثْلَ أَمْسِهِ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ شَرًا مِنْ أَمْسِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ».

هذا من حيث المبدأ، أما نطاق التطوير فيجب التركيز فيه على أربعة محاور:

١- التطوير العقلي:

فهو مناط التمييز بين الخبيث والطيب، والشرّ والخير، والمفسدة والمصلحة، والضلال والهدى، و ونركّز في حديثنا هنا على محورين رئيسيين:

أ- المناهج والقواعد التي تعمل على ضبط الفكر والتفكير، والتي تعمل على تصحيح المفاهيم والتصورات، والتي تقوم على جمع

الفروع والشوارد من الأفكار، وهذه المناهج والقواعد متمثلة في عدة علوم ومعارف: كقواعد العقائد، والمنطق، والفلسفة، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، وقواعد الفقه، والتفسير، وذلك حتى تصل المرأة إلى درجة التفكير العلمي المبدع المنضبط.

ب- فهم الواقع: وهي منزلة أعلى من «معرفة الواقع»، فالمعرفة تقتصر على الرصد، والفهم يرتقي إلى التحليل والغوص في دقائق الأمور، ومن ثمَّ تنزيل الأحكام والمعارف التي اكتسبناها في المحور الأول على ما يستجد من مسائل وأحداث، وإلا أصابنا الركود والجمود، والمرأة المسلمة أحوج ما تكون إلى فهم الواقع حتى تمارس أدوارها الريادية في صناعة الحياة كما سيأتي بيانه، وتنبع أهمية هذا الفهم من: النصوص الشرعية[1]، والضرورة العصرية، فالْمُتَخَلِّفَة عن مواكبة فهم تطورات ومسارات الحياة العصرية لن تستطيع «التأثير» فيها بالإيجاب، بل ستتحول إلى جانب «التأثُّر» بالسَّلْب، وهذا الأخير أبعد ما يكون عن مقتضى المسئولية الفردية للمرأة المسلمة، أما طرائق الحصول على هذين البندين في مجال تطوير العقل فأكثر من أن تحصى فمن قراءةٍ إلى سماعٍ للشرائطِ

(١) مثل قوله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقوله ﷻ: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وقوله ﷺ: (عَلَى الْمُؤْمِنِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ).

وحضورِ مجالس العلم وشهود ندواتٍ ومؤتمراتٍ، والسعيِ للحصول على الشهاداتِ العلميةِ، والولوج بقوة في وسائل الاتصال الحديثة وخاصة الشبكة الدولية للمعلومات «الإنترنت».

٢- التطوير الروحي والخلقي:

وهما فرعان أساسيان من ركن التزكية: أحد الأركان لمهمة الرسول ﷺ كما يقول الله سبحانه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٥١]، وهي مُقَدَّمَة هنا على تعليم الكتاب والحكمة، وكذا في آيتين أخريين من أربع آيات[1] تتحدث عن هذه المهمة الرساليَّة، بل أقسم الله ﷻ أحد عشر قسمًا متواليًا في قرآنه لم يقسم بمثلها عددًا، ثم يجعل جواب القسم: »تزكية النفس» يقول الله ﷻ في سورة الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[الشمس: ٩-١٠] وهذا المجال هو«عُدَّة المرأة المسلمة» في سيرها إلى الله ﷻ فحتى

(١) وبقية الآيات الثلاث:

أ- ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ب- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ج- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

تنتقل من «منزلة إيمانية» إلى أخرى يحتاج منها إلى مجاهدة نابعة من مسئوليتها الفردية فَكُلُّهُم: ﴿آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً﴾[مريم: ٩٥]، ويعينها على هذه المهمة الجليلة أمورٌ، نذكر منها ثلاثة لأهميتها في هذا الموضوع «التطوير الروحي والخلقي»:

أ- **ترقب الموت والآخرة**: وهو باب التزكية الأعظم، وبدونه تصبح كل الوسائل جسدًا لا روح له، وشجرة لا ماء فيها، وبهذا الباب تزكّى الأنبياء وزكوا غيرهم يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[ص: ٤٦]، قال مالك بن دينار: «نزع الله من قلوبهم حبَّ الدنيا وذِكْرَها، وأخلصهم بحبِّ الآخرة وذكرِها»[(١)]، وقال قتادة: «كانوا يذكّرون الناس الدار الآخرة والعمل لها»[(٢)]؛ وعليه: فإن «حياة» المؤمن في ذكر «الموت»، وسبحان من جمع بين الأضداد.

واعتبر صاحب «المنازل»[(٣)] هذا الباب هو أول منازل السير للآخرة سماه: «منزلة اليقظة»، (وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، ولله ما أنفع هذه الروعة! وما أعظم قدرها وخطرها! وما أشد إعانتها على السلوك! فمن أحسَّ بها فقد

---

(١) إسماعيل بن كثير، مرجع سابق، ج٤، ص٤٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أي منازل السائرين إلى رب العالمين للإمام الهروي والذي شرحه ابن القيم في مدارج السالكين.

أحسَّ والله بالفلاح، وإلا فهو في سَكَرات الغفلة، فإذا انتبه شَمَّرَ لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى وأوطانه التي سبي منها:

فحيَّ على جنات عدنٍ فإنها منازلُك الأولى وفيها الْمُخَيَّمُ
ولكنَّنا سَبْيُ العَدُوِّ فَهَلْ تَرَى نعـود إلى أوطاننا ونَسْـلَمُ)[1]

أما إمام التزكية والْمُزَكِّين ﷺ فيوصي أمتـه بــ: «**أَكْثِرُوا ذِكْـرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: الْمَوْتِ**» [حديث حسن، رواه الترمذي]، حتى يظلَّ المؤمن على ذكْرٍ دائمًا بمصيره ومآله فيظل على المنهج والصراط لا يحيد عنها، ثم أكَّد النبي ﷺ على أن من أسباب وَهَن هذه الأمة وعـدمَ جدوى تأثيرها رغم كثرة عددها هو: «كراهية الموت» فيقول الـنبي ﷺ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْـتُمْ يَوْمَئِـذٍ كَـثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَـدُوِّكُمْ الْمَهَابَـةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**» [حـديث حسـن، رواه أحمـد وأبو داود].

ب- اصطحاب كتاب في التزكية: فَبِهِ تُعْرَفُ طرائق تهذيب الأخلاق، ووسائلُ تزكية النفوس، ومداخل الشيطان، ومبطلات الأعمال،

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين(تحقيق: محمد حامد الفقي و محمد عبد الـرحمن الطيـب)، القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ج١، ص ١٢٢.

ومفسدات القلب وعلاجها، وهو الأنيس في الوحشة، والناطق عند الصمت، والمسعف عند الحاجة، وهو التربية العلمية للنفس، ففيه علم وحكمة، وتبصرة وهداية، وتربية وتهذيب، وعلاج ووقاية، ولكن ينبغي توافر شروط في هذا الكتاب منها:

- التمسك بأهداب النبوة في التزكية فسيدنا محمد ﷺ هو أفضل من عبد الله مِنْ خَلْقِ الله في أرض الله ولوجه الله وعلى منهج الله.
- التمسك بأهداب منهج أهل السنة والجماعة وتصوراتهم في التزكية.
- الاستيعاب لجلّ المقامات الإيمانية.

ونحسب أن من أفضل الكتب التي تصلح لهذه المهمة تلك السلسلة التي صاغها العالم الرباني شيخ التربية «سعيد حوى»، وهي:

- تربيتنا الروحية: [وهي تعتبر كالمقدمة والمدخل في تزكية النفوس].
- المستخلص في تزكية الأنفس: [وهو ملخص مركز لكتاب إحياء علوم الدين مع زيادات نفيسة منه رحمه الله].
- مذكرات في منازل الصديقين والأبرار: [وهو شرح وسيط لِحَكَمِ ابن عطاء الله السكندري].

ج- مرافقة القدوة الموجِّهة: فالهدي النبوي يؤسس ويؤكد أن: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» [حديث صحيح، رواه أبو داود والترمذي]، وهي أثمن منحة ربانية للعبد من بعد نعمة الإسلام يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «ما أُعْطِيَ عبدٌ بعدَ الإسلامِ خيرًا من أخٍ صالحٍ، فإذا رأى أحدُكم ودًّا منْ أخيهِ فلْيَتَمَسَّكْ بـه»، وهي روح الدنيا وذخيرة الآخرة:

لعمرك ما مالُ الغنيِّ بذخيرةٍ ولكنَّ إخوان الثقاتِ الذخائر

ومن أبرز صفات هذه القدوة الموجهة: التقوى، وطيب القول، وعدم التكلف، وترك حضيض الدنيا والدرهم، ومذاكرة الآخرة، والإيثار، وبذل النصح في دين الله[1]، وأولاً وأخيرًا وحدة المنهج في العقيدة والفكر.

٣- التطوير البدني:

وتأتي أهمية البدن في أنه مطية العمل الصالح، فالجهاد والدعوة والبلاغ والحركة والانتقال للتأثير في المجتمع والشهود الحضاري إنما مطيته الأساسية: «البدن»، ومن أجل هذه الأمور وغيرها من الفقهيات الشرعية كقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّه مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» [حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم وابن ماجه]؛

(١) انظر: محمد أحمد الراشد، الرقائق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١٤، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، ص (٧٢ - ٧٥).

من أجل هذا كله كانت أهمية التطوير البدني، فالعجز مُقْعِدٌ عن العمل.

ونعني بتطوير البدن ثلاثة أمور رئيسية:

أ- **الغذاء**: ونهتم فيه بكميته ونوعيته ووقته، فالمعدة بيت الداء، يقول النبي ﷺ: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**» [حديث حسن، رواه الترمذي].

ب- **الرياضة**: ونلحظ فيه نوع الرياضة المناسبة للمرأة المسلمة، والسَّتْر عن النظر إلى العورات إن كان خارج البيت.

ج- **العلاج**: ولن تلجأ إليه المرأة المسلمة إلا بالإخلال في الأمرين السابقين، فإن وقع فالأصل تطبيق الأمر النبوي: «**تَدَاوَوْا**» [حديث حسن، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه]، فيُلحظ فيه ثلاثة أمور:

أحدها: المبادرة والمسارعة بالعلاج حتى لا يتفاقم الداء فيقع المحظور شرعًا وطبًّا.

الثاني: مراعاة التخصُّص عند اختيار المعالج، قال الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[الأنبياء: ٧]، وعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضًا أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي فَقَالَ:

«إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْئُودٌ[1] ائْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ» [حديث حسن، رواه أبو داود].

أما الثالث: فالتوكّل على الله ﷻ والثقة في أنه الشافي لا الطبيب، ولا الدواء، قال جَلَّ شأنه: ﴿وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء: ٨٠].

٤- التطوير المهاري:[2]

والمهارة: خليط من العلم والتجربة والتدريب، وهو سرٌّ من أسرار التفوّق، وعلى قدر المهارة وقوّتها تحصل الغلبة ويكون النجاح، وهو ما مَيّزَ خالد بن الوليد في مهارته الحربية، ورفيدة في مهارتها في التمريض، وإيزابيل ومهارتها في توحيد جهود ملوك النصارى ضدّ مسلمي الأندلس حتى سقطت غرناطة، وجولدا مائير ومهارتها في ترسيخ دعائم الدولة الصهيونية المحتلة، فهي -أي: المهارة- سُنّة من سنن الله الكونية في التدافع، ووجب على المرأة المسلمة باعتبار مسئوليتها الفردية اكتسابها حتى تستطيع أداء واجباتها الرساليّة على أكمل وجه، فمن مهارة إدارة الذات والوقت، وتنظيم الاجتماعات والندوات، وإقامة المؤتمرات، وبناء فرق العمل، وتربية الأولاد، ومعاملة الزوج، وفنّ الدعوة إلى الله،

(١) مفئود: أي مصاب بداء في قلبه.

(٢) ومَهَرَ الشيء، وفيه وبه مهارة: أَحْكَمَه، وصار به حاذقًا فهو ماهر.

وتوحيد الجهود، وإنشاء الجمعيات، والمشاركة فيها، والتدريس في الحلقات العلمية، ونقد الأفكار، والمجادلة بالتي هي أحسن والمناظرة والحوار، وإقامة المعارض والحفلات، وإتقان فنّ التعامل مع الآخرين، والقدرة على الدعاية والإعلام، والقدرة على البحث، وتنظيم المؤتمرات، واستخدام وسائل العصر في قائمة طويلة من المهارات التي تعينها في أداء رسالتها، وبدونها يصبح تأثير المرأة المسلمة محدودًا على حسب قوتها المهارية.

المجال الثاني: المسئولية الفردية في رعاية الأسرة:

يقول الرسول ﷺ في حديث المسئولية: «**وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**» [حديث صحيح، رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي واللفظ للبخاري]؛ ومن هنا كان للأمومة دورها العظيم في بناء الأجيال، وإخراج الأمة الْخَيِّرَة، التي تعمل على الْحُكْم بالعدْل، والخلافة في الأرض وفْق ما أنزل الله سبحانه وتعالى.

وقد يكون للأمومة عكس هذا الأثر، فَتَتَسَبَّب في دمار الأمة وخرابها، بقتل الأجيال بشتى الوسائل، ويحدّد ذلك شخصيةُ المرأة تربيةً وتنشئةً، ويحدد سلوكها وتفكيرها ونمط حياتها.

إن الأسرة التي توجد فيها المرأة الصالحة ولا سيما الأمّ، أسرة تملك كنز الدنيا، والأسرة التي تشكلها امرأة مستهترة غير فاضلة، أسرة مصيرها الويل والخسران في الدنيا والآخرة.

فالذي يشكل الأمّة المسلمة الخيرة هو: أم فاضلة وقوية، وهي الصورة الإسلامية للأم النموذج المطلوب، ومصداقه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[القصص: ٢٦]؛ فالقوة والأمانة هما الركنان الأساسيان للشخصية المسلمة، وبنقصان هاتين الصفتين تختلف صورة الأم في القِيَم الأخرى، فصورة المرأة في القيم الغربية المعاصرة هي: أنها قوية ولكنها غير فاضلة، وفي القيم القبلية تنعكس الصورة فتصبح المرأة فاضلة ولكنها غير قوية، وعلى هاتين الصورتين الأخيرتين تنتشر صورة المرأة العربية والإسلامية المعاصرة فهي إما قوية وغير فاضلة، أو فاضلة وغير قوية [١]، والمطلوب هو النموذج الإسلامي، وتحقيقه بما ذكرناه في المجال السابق من المسئولية الفردية للمرأة المسلمة.

وواجبات المرأة تجاه أسرتها تتمثل فيما يأتي:[٢]

١- واجبها تجاه زوجها:

فهناك واجبات معنوية من: المودة والرحمة والثقة المتبادلة والتعاون على السراء والضراء، وعلى الزوجة أن تحترم زوجها

---

(١) انظر: مها عبد الله عمر الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام (رسالة ماجستير منشورة)، الرياض (مكة المكرمة): معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي (جامعة أم القرى)، (١٤١٧هـ ١٩٩٦م)، جـ٢، ص ٥.

(٢) ينظر في تفصيل هذه الأمور وشرحها وأدلتها في: المذكرة التفسيرية لميثاق الأسرة في الإسلام، وهي من مطبوعات اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل.

وتقدر متاعبه الحياتية وأن تراعي مكانته في الأسرة، وإعانته على تحمل أعبائه وعلى سائر شئونه، واحترام قرابته، واعتبارهم في مكانة قرابتها من النسب.

ومن الواجبات المادية: أن للزوج على زوجته أن تطيعه في المعروف[1]، كما يجب عليها أن تتّقي الله في ماله، وأن تنفق منه بقدر حاجتها وحاجة أولادها بحكمة وتبصُّر دون إسراف ولا تبذير، وألا تتصرف في شيء منه إلا بإذنه، أو فيما يجري به العرف والعادة، كما أنّ عليها أن تكون صالحة قانتة متأدبة بآداب الدين، ملتزمة باللباس الشرعي، والحشمة والوقار والجد في زينتها وكل أعمالها.

وإذا كانت ذات مال وأعسر زوجها، وجب عليها الإنفاق عليه وعلى الأولاد وترجع على الزوج بما أنفقته إذا أيسر وفْق الضوابط وفي الحدود المقررة شرعًا.

وعليها كذلك كتمان الأسرار الزوجية، إذ تَطَّلِعُ المرأة على أَدَقِّ أسرار زوجها، بما لا يَعْلَمُه أحدٌ سواها إلا الله عز وجل، وإفشاءُ هذه الأسرار ولو بعد الطلاق إثمٌ ومعصيةٌ وخيانةٌ للأمانة.

٢- واجبها تجاه أولادها:

والأسرة محضِن الطفل وبيئته الطبيعِيَّة اللازمة لرعايته وتربيته، وهى المدرسة الأولى التي يُنشّأ الطفل فيها على القيم الإنسانية

(١) وهو كل أمر مباح شرعًا ولا يصيبها منه ضرر أو إيذاء.

والأخلاقية والروحية والدينية، فللمرأة وظيفة هامّة وسامية خصّها الله ﷻ بها، هي وظيفة الْحَمْل والأمومة، وهو ما لا سبيل للرجل أن يقوم به، وهي أسمى الوظائف -رغم ما يحاول البعض من تهوينها والحطّ من شأنها- وبدونها ينقطع النسل، وتجفّ منابع الجنس البشري، وأكثر من ذلك فإنّ الأم هي التي تُرضع وليدها -مع لبنها- حنانًا ورعاية تَشِيع في أجزاء نفسه وفى كل جسده، ويبقى تأثره بها حتى يشبّ ويكبر، وهي التي تقوم برعايته وتربيته بالمشاركة مع الزوج في وجوده وبانفرادها عند غيابه.

٣- واجبها تجاه بيتها:

على الزوجة القيام بشئون بيت الزوجية والأولاد على الوجه الملائم لأمثالهما، وهو واجب عليها ديانة وبحكم روابط المودة والرحمة والتعاون على ما فيه سعادتهما، وإذا كانت تعمل خارج المنزل، فعليها أن تساهم في نفقات البيت بالقدر المناسب لحالهما وحسبما يتفقان عليه رضاء، أو بتقدير حَكَم عَدْل بين الطرفين.

وعليها أيضًا الحرص على الآداب الشرعية، في زيارة الآخرين واستقبالهم ومخالطتهم، كما عليها الحرص على إحسان الصلة بالناس وخاصة الجيران والأقارب وذوي الأرحام واعتبار قرابة كل منهما في درجة قرابة النسب للآخر، وعدم الإزعاج للآخرين خاصة الجيران بأي وجه من أوجه الإزعاج والضوضاء، والعناية بالصحة

واجتناب العادات الغذائية السيئة والحرص على استخدام المنتجات الوطنية ومقاطعة منتجات الأعداء.

المجال الثالث: الذاتية في الدعوة إلى الله:

إن لفظ «الدعوة» مصطلح إسلامي، وهي تعني لغة أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون مِنْك، ويصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية على أن الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا [(١)]، والأصل فيها قول الله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾[الحج: ٦٧]، وهذه الآية يدخل فيها المسلمون جميعًا؛ لأن الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استثني، وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى له بالدعوة إليه، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرّفها أن أشركها مع رسوله الكريم ﷺ في وظيفة الدعوة إليه، ولم تَكْتَفِ النصوص الشرعية بعمومية الخطاب لدخول النساء في وجوب الدعوة إلى الله بل نص على ذكر النساء المؤمنات في وجوب أدائها لهذه الوظيفة النبوية: ﴿والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ١٥، ص ١٥٧، نقلاً عن: محمد أحمد الراشد، المنطلق، بيروت مؤسسة الرسالة، ط ١٥، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص ٨٦.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٧١].

إذن فالحريصة على إيمانها، الطالبة للفردوس الأعلى تحرص أشدّ الحرص على أن تنطق بالحق، معطية راحتها ووقتها ومالها، بل روحها ودمها، ثمنًا لما تطلب؛ فإن الدعوة إلى الله واجبة، لا يعذر منها أحد، إلا من كانت مستضعفة من عوام الناس البسطاء السذّج الذين لا يحسنون النطق وتدبير الأمور.

فإذا ما أيقنت المرأة المسلمة بوجوب حركتها لنصرة هذا الدين بالدعوة وجب عليها لتحقيق التأثير بالدعوة أن تكتسب القوّة في دعوتها بأن تتقن عدّة فنون، نذكر ثلاثة منها لأهميتها:

١- فن الاتصال الفردي بالجماهير:

والمتمثل في قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

٢- فن الإقناع بالفكرة:

والمتمثل في قوله جَلَّ شأنه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل: ١٢٥].

٣- فن الاستماع إلى الآخرين:

والمتمثل في قول الرسول ﷺ للوليد بن المغيرة حين جاءه يعرض عليه بعض الأفكار للعدول عن دعوته: «قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ».[١]

ثم تقوم المرأة المسلمة بتطبيق هذه الفنون علي جملةٍ من الأماكن يتواجد فيها عددٌ من الناس وهي:

- نطاق بيتها وأسرتها (الأسرة القريبة).
- نطاق العائلة والقرابة (الأسرة الممتدة).
- نطاق الصداقة والزمالة العملية (زميلة عمل، زميلة تعليم).
- نطاق الجيرة والجيران.
- نطاق الاحتكاك والاتصال العابر (وسيلة مواصلات - إنترنت - محل للشراء - انتظار - ... إلخ).

المجال الرابع: ذاتية التفاعل مع مؤسسات المجتمع الأهلي:

إذا كانت الدعوة في المجال السابق ذات طابع فردي، فإن الدعوة في هذا المجال المهمّ ذات طابع جماعي مؤسسي، باعتبار المرأة المسلمة

(١) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، القاهرة (طنطا): دار البشير، (د.ت)، ص ١٢٢.

عضوًا في مؤسسات المجتمع، والأصل في هذا العمل هو قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧]، وفي هذا يقول الأستاذ سيد قطب (رحمه الله): «وفِعْل الخير يؤدي إلى استقامة الحياة الجماعية على قاعدة من الإيمان وأصالة الاتجاه»(١)، وسينحصر الحديث حول أربعة محاور، وهي:

١- ماهية العمل المؤسسي:

يقصد بالعمل المؤسسي: ذلك التفاعل التنظيمي حكوميًا كان أو مدنيًا ويضمّ أفرادًا من المجتمع لتحقيق أهداف محددة.

فالتفاعل التنظيمي: يقتضي وجود هيكل إداري له قيادة وأعضاء، وتحكمه نظم ولوائح.

وهذا العمل المؤسسي يضمّ نوعين رئيسيين، فهو إمّا أن يكون حكوميًا: أي متعلقًا بالدولة وجزء منها، وتنضوي تحتها كل مؤسسات الدولة من وزارات وهيئات وجمعيات ومراكز.

وإمّا أن يكون مدنيًا، والفرق الجوهري والأساسي بينه وبين مؤسسات الدولة هو «التطوع»، فالعامِل في مؤسسات الدولة يتعاطى أجرًا على عمله وهو بالنسبة له «عمل وظيفي»، أما العامل

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط ١٦، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ج ٤، ص٢٤٤٥.

في المؤسسات المدنية فهو متطوع بعمله أو يتعاطى أجرًا رمزيًا على هذا العمل وهي بالنسبة له «عمل طوعي»[1]، وتشمل أنواعًا كثيرة: كالجمعيات الخيرية، والنقابات، والجماعات الإسلامية، والأحزاب، والنوادي الاجتماعية والثقافة والعلمية، ومراكز الخدمة العامة، والمنظمات الأهلية (كمراكز حقوق الإنسان - ومراكز المرأة...).

وإذا أطلق مسمى «العمل الأهلي» أو «العمل العام» فيقصد به النوع الأخير من المؤسسات أي: المؤسسات المدنية الطوعية.

٢- أهمية العمل المؤسسي:

أ- أهميته بالنسبة للمجتمع ويتضح هذا فيما يلي:

- الاستمرارية في العمل من خلال عمل جماعي منظَّم، ودون الاعتماد على شخص يتوقف بتوقفه.
- توحيد الجهود والأموال والأوقات وتنظيمها.
- القدرة التأثيرية العالية على المجتمع.
- مساعدة الدولة في نهضة المجتمع (من قبل المؤسسات المدنية).

(١) وبهذا يتضح معنى: (الطوعي)، وهو أنه عمل يُؤدّى بلا أجر، وليس المقصود به التطوّع الشرعي أي: النافلة والمندوب والسنة، فقد يكون عملاً (طوعيًا) وهو واجب شرعًا كالعمل الجماعي في الدعوة إلى الله.

ب- أهميته بالنسبة للفرد ويتضح هذا فيما يلي:

- الاكتساب أو التحلية، حيث يكتسب الفرد من تواجده في العمل المؤسسي عدة خبرات: كإدارة الوقت، والتنظيم والتخطيط، وفنّ النقد والتوجيه، وفنون الاتصال، وممارسة الشورى، والاستشارة، والتدرب على القيادة، والجندية...

- العلاج أو التخلية، حيث يقوم هذا الانصهار في العمل الأهلي بعلاج الكثير من الصفات السلبية للفرد، كالنقد الأجوف، والنجوى[1]، والبطالة، والكسل، والجمود الفكري والحركي، والخوف من المواجهة...

٣- شروط المشاركة في العمل المؤسسي:

وهي شروط لازمة حتى تتحقق الشرعية لعمل المرأة المسلمة في هذه المؤسسات وهي إجمالاً:

أ- غلبة الظن في حصول المصلحة من الأداء داخل هذا العمل المؤسّسي، أما المصلحة المتوهمة المرجوحة فلا تعتبر مُسَوِّغًا لاشتراك المرأة المسلمة في هذا العمل المؤسّسي، فضلاً عن أن تكون هناك مفسدة راجحة تَتَأتّى من هذا الاشتراك.

---

(١) ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: ١٠].

ب- عدم التعارض مع حقّ وواجب أعلى، فالواجب العيني مقدّم على الكفائيّ، والأوجب مقدم على الواجب، والواجب مقدّم على المندوب وهكذا، فإذا ما تعارض هذا العمل المؤسّسي مع ما تقوم به المرأة المسلمة من واجب رعاية أولادها، فهنا ينتفي أداء العمل المؤسّسي[1]، والأصل في الواجبين هو التآزر والتوازي لا التعارض والتصادم.

ج- الالتزام بالضوابط الشرعية في الحركة للمرأة المسلمة، وخاصّة عند اشتراكها مع الرجال في هذا العمل المؤسّسي، وذلك من مثل: غض البصر، واجتناب مصافحة الرجال في عامة الأحوال، واجتناب الخلوة، واجتناب اللقاء الطويل المتكرر، واجتناب مواطن الريبة، واجتناب ظاهر الإثم وباطنه، والالتزام بالزي المحتشم، واجتناب الطيب، والجدية في التخاطب، والوقار في الحركة.[2]

٤- آداب المشاركة في العمل المؤسسي:

وهي جملة من الآداب ينبغي على المرأة المسلمة التحلّي بها بمقتضى وجودها داخل العمل المؤسسي وهي:

(١) انظر: د.عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م)، ج٤، ص١٦٥.

(٢) انظر: عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، القاهرة: دار القلم، ط ٤، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ج٢، ص(٨٦-١٠١).

- الإتقان والإحسان في العمل.
- الالتزام باللوائح والنظم.
- التوجيه والنقد والإبداع.
- التعاون والتآلف مع الآخرين.
- الشورى والاستشارة.

والكلام هنا في الشروط والآداب مجرد إشارات، وإلا فهو إجمال يحتاج إلى تفصيل، فالعمل المؤسّسي بكافة جوانبه يحتاج إلى بحث خاصّ له حتى يستوفي حقه من التحقيق والتأصيل.

* * *

ثالثًا: مفاهيم خاطئة حول المسئولية الفردية

١- الاعتماد على التكليفات والتوجيهات دون المبادرة الذاتية:

فإنّ المؤسسات إنما تضع خططًا عامة لتوحيد جهود الأفراد وأموالهم وأوقاتهم، وتُنْشئ السياسات والتوجُّهات التي من خلالها يتحرك الأفراد ويؤثّرون في المجتمع، ولا تضع المؤسسات في حسبانها ما سيفعله الأفراد في يومهم فضلاً عن ساعتهم، كما أنها لا تَفْرِضُ على الفرد إلا الحدّ الأدنى مما يجب عليه تجاه مؤسسته، وانطلاقًا من هذه المسلّمات كان الاعتماد على هذه التكليفات فقط في حركة الفرد فيها من الجمود ما فيها، هذا فضلاً عن إهدارِ قدرٍ كبيرٍ من أوقاتهم وإمكاناتهم.

ونذكر هنا بعض الأمثلة العملية التي يمكن أن تقوم بها المرأة وتبادر في تنفيذها بمفردها وذاتِيَّتِها:

أ- في مجال تقوية الإيمان: يمكنها عمل كلّ ما يؤدي إليه من زيارة القبور، وحضور المساجد، وقبل ذلك تلاوة القرآن وحفظه، وقيام الليل، وذكر الله تعالى، والتفكر في خلق الله، والتأمل في مصالح الدعوة.

ب- **في مجال العلم بجانبيه (التعليم والتعلم):** تناول كتابٍ لقراءته وتلخيصه، أو الاستماع إلى محاضرة نافعة، أو المطالعة في كتب الصحابة وآثارهم، والعيش مع أنفاسهم، أما المتخصِّصة في مسألة ما، أو فنّ معين فلها المجال الأرحب، كتصنيف كتاب، أو كتابة مقالة، أو تحقيق مخطوط، أو تعليم الآخرين، وليس في مجال العلم بأقل من السؤال والاستفادة، وإلا فهو الإفلاس المحض، والخسارة القاتلة، فقد قال عكرمة لأصحابه: «ما لكم لا تسألوني، أأفلستم»؟.

ج- **في الإطار الاجتماعي:** كزيارة تكسب فيها المرأةُ صديقةً، أو أمرًا بالمعروف، أو تجلب فيها خيرًا لجماعة المؤمنين، أو تتعرّف فيها على تاجرة أو متبرعة تعين الأنشطة بمالها، ولا يقتصر العمل الإسلامي على المجتمع، فالبيت أحوج إلى الداعية المسلمة، فعليها تجاوز الفتور والقصور، وأن تقوم بإرشاد أطفالها وأقربائها، حتى ولو بالتلاوة من كتاب.

د- **في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشكل الإيجابي:** مجال واسع وآفاق ممتدة، حيث الملاحظة اليومية لأمور المنكر التي ينبغي إزالتها من المجتمع، فتسهم الداعية بكتابة موضوع نقدي في الصحافة، أو تقوم بإرسال رسالة تردّ على شبهة، أو تؤيّد موقفًا، أو تستنكر مقالة، أو تقوم بإرسال برقية

إلى جهة، أو ترفع سماعة الهاتف مستنكرة برنامجًا سيئًا، أو مؤيدة لمحاضرة مُوَفَّقَة، أو أن تقوم بالكتابة إلى وزير أو مسئول تدعم رأيه الجيد في موقف، وتستنكر فيه الموقف السيِّئ، ولو عملت كل الداعيات بهذا المنهج، وأدّت كل واحدة واجبها؛ لأدّى هذا الأمر إلى الخير الكثير، إذ سوف يستل الصحفي والإعلامي والمدير والوزير مئات بل آلاف الرسائل من الردود أو المعارضة لموقف الشر، فتقوده إلى الامتناع، أو على الأقل التوقف عن المزيد، أما سكوت الجميع، فسيقود إلى شرّ أكبر، كما أن عدم تشجيع المعروف يقود إلى الزهد فيه.(١)

٢- ارتباط فكرة الخمول والانسحابية بالتقوى:

فالشيطان يُغَرِّر بالداعية أنها لا تصلح لعمل ما، ويُزَهِّدُها في الأداء عن طريق إشعارها بأن العمل فيه ضَرْبٌ من الرياء، وأن الحديث فيه مظاهر الغرور، فيُحَبِّبُ لها العزلة، ويُزَيِّن لها الانكماش، ويُصَوِّر لها العُزلةَ ورعًا، والانكماشَ تعففًا، وعدمَ الحديث تواضعًا، فيُفَوِّت عليها كثير من المصالح، ويَسُدّ عليها طُرُقَ الخير، ويُذْهِب عنها الأوقات، وتُهْدَر الطاقات، وإذا ما عجز عن ذلك كله، فإنه

(١) انظر: د٠عبد الله يوسف الحسن، الإيجابية في حياة الداعية، القاهرة (طنطا): دار البشير، ط٢، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص (٣٨-٤١)بتصرف واختصار.

يُرْبِكُ الأولويات على المرأة الداعية، ويقودها لِتَرْكِ الأفضل وإتيانَ المفضول تحت نفس التبريرات، ووَفْق نفس الحجج، ولهذا كان من الضروري تَفَهُّم المرأةِ الداعيةِ العلمَ الشرعيَّ الذي تَسُدُّ به منافذ الشيطان، وتغلق به أبواب إبليس[1]، كما أنه لا غنى لها عن الشيخ المرشد[2] الذي يُبَيِّنُ لها حقيقة موقفها: هل هو انكماش واعتزال، أم تواضع وعدم تأهُّل؟

ولذا، فإن عبد الله بن مسعود لما بلغه أن رجالاً من الكوفة خرجوا منها، ونزلوا قريبًا يتعبّدون، أتاهم ففرحوا بمجيئه، فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبّد، فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو ؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا.

ومن عبد الله بن مسعود اقتبس الوعي الصحيح الداعون إلى الإسلام على تعاقب الأجيال.

إنها كلمة الحق، وعنوان الوعي، وشارة التربية النبوية الكريمة، من تقاتل للدعوة إذن لو اعتزلت العابدات ؟ ومن لردّ كيد الصهيونية والماسونية، والدعوات الإلحادية[3]، إذا بقيت المصليات في منازلهن واعتزلن العمل الدعوي، ولا يتعللن بأن الرجال يكفوننا

(١) انظر: د. عبد الله يوسف الحسن، مرجع سابق، ص (٢٥ - ٢٦).
(٢) امرأة كانت أو رجلاً.
(٣) انظر: محمد أحمد الراشد، المنطلق، مرجع سابق، ص (١٠٨ - ١٠٩). بتصرف.

في هذا المجال، فقد اتّسع الخرق على الراتق، وكثرت الواجبات على المسلمين والمسلمات بحيث لا يكفي من هو موجود الآن، بل نحتاج إلى أضعاف أضعافهم لإقامة الكفاية، وسدّ الثغرة.

ففكرة الخمول والاعتزال والانسحابية مرفوضة من أوّلها، فسنة الله الكونية هي «التدافع»، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ٢٥١]، وقال عزّ من قائل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١٨]، فكيف يُدفع الباطل ويُزهق والداعيات خاملات ومعتزلات ومنسحبات.

٣- اعتقاد أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان:

فمن الضروري بمكان معرفة الداعية أنّ ما تعرفه أو تتقنه: قد لا تتقنه القيادات، ولا يكاد يمرّ على ذهن الأمراء، فإن الله قد استأثر بعضَ الخلق ببعض الأمور، ألا تلاحظ الداعية أن الله استأثر بعض مخلوقاته بما يعجز عنه الإنسان، حتى يستدلّ به على عظمة الخالق من جهة، وضعف المخلوق من جهة.

ولعل هذا المعنى ورد في قصة الهدهد، فهذا النبيّ الذي أُوتي من كل شيء تقريبًا، وسُخِّرَ له الجنّ والإنس، ظهر احتياجه للطير الضعيف، بل ودافع الهدهد عن نفسه، ونافَحَ عن تغيُّبه بحجة بليغة، فقال تعالى على لسان الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ

بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وجَدتُّهَا وقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ * أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ويَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ ومَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾[النمل: ٢٢-٢٦].

ويتلازم مع هذا المفهوم معنى آخر هو: ضرورة استيعاب المربين والمربيات لمبادرات الأفراد، واحترام ما يَصِلُون إليه من إبداع، وما يبتكرونه من أفكار، وينبغي تدعيم ذلك بالإعانة، والتمنّي لهم بالتوفيق، والمباركة بالتشجيع، ما دام ضمن مسيرة العمل الصالح، اقتداءً بالأنبياء والمرسلين[1]، فهذا النبي سليمان عليه السلام يعلم بمبادرة الهدهد الذاتية فلم يقم بوأدها، واقتلاعها من جذورها، كما لم يعمل على تسفيهها، بل قام بتطويرها وتوجيهها لما يخدم الهدف العام، والغاية الأصيلة، طالما أنها متمشّية معها، غير متعارضة مع أصولها: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[النمل: ٢٧-٢٨]، وهكذا تمّت الاستفادة من الفكرة المبتكرة، ونتج عنها إسلام أمّة بأكملها، وكفى بها نتيجة، وما ذلك إلا بسبب مبادرة ذاتية ناتجة عن مسئولية فردية من جندي من جنود الدعوة، ثم حنكة تربوية من قيادة حكيمة، بقبول المبادرات الذاتية وتطويرها وتأطيرها، والاستفادة منها.

(١) انظر: د٠عبد الله يوسف الحسن، مرجع سابق، ص (٣٦-٣٨)بتصرف واختصار.

وفي سيرة نبينا الكـريم ﷺ مـع صـحابته ﷺ أمثلـة مـن المبـادرة والقبول، فهذا الحباب بن المنذر يبتكر فكرة ماء بدر فيفعلها النبي ﷺ، وهذا سلمان يُبْدِعُ فكرة الخندق، وينفذها الرسول ﷺ.

* * *

رابعاً: نماذج للمسئولية الفردية في بعض الشخصيات النسائية

١- أم شريك الدوسية.. الداعية:

امرأة ممن سبقنَ إلى الدعوة حين وصلها شعاع من نورها، وَسَعَتْ لتقوم بدورها في حمل رسالته انطلاقًا من شعورها بمسئوليتها في الكشف عن زيف الباطل والتنفير منه، وبيان الحق والترغيب فيه.

يقول ابن عباس ﷺ: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًّا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا .. لكنا نسيّرك إليهم ...[(١)]

لقد علمت أم شريك أن اختيارها لطريق الإيمان محفوف بالأخطار، ولكنها لم تتوان عن حمل الرسالة التي وصلتها بمجرد أن أعلنت انتماءها لكتيبة الحق وجند الإيمان، فراحت تنشرها بين بنات جنسها، مع علمها أن ذلك سيضاعف من الأخطار التي يمكن أن تحلّ بها، وهي التي لم يُطلب منها ذلك، ولكنها آثرت أن تتحرك بما

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، ود. محمد رواس قلعجي، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ٢/ ٥٣.

تحمل من حق وخير على القعود في راحة وأمن؛ إيمانًا منها بمسئوليتها عن هذا الدين وهذه الدعوة.

٢- نَسِيبة بنت كعب.. السَّباقة:

إنها أم عمارة نسيبة بنت كعب، كانت من السابقات إلى الإسلام من أهل المدينة، اللاتي بايعن النبي ﷺ في بيعة العقبة الثانية، ولم يكن إسلامها تقليدًا لأسرة، ولا تبعية لزوج، وإنما كان إسلام العقل والقلب والروح، فمنذ ذلك اليوم انخرطت أمّ عمارة في بوتقة الإسلام، ولم يعد لها شغل إلا دعوته، ولا همّ لها إلا انتصاره بكل ما تملكه وتستطيعه، فراحت تسابق الرجال في كل ميدان ترى فيه خدمة للدين، وإعلاء لراية الإسلام، في البيت .. في المسجد.. في ساحات الوغى.

لقد كان إحساسها بمسئوليتها عن انتصار الدين عظيمًا، مَلَكَ عليها أقطار نفسها، مما جعلها تستأذن النبي ﷺ للخروج معه في غزواته لتكون في خدمة المجاهدين، ويأذن لها النبي ﷺ، وهو ما شجّع غيرها من النساء على الاستئذان لذات الغاية النبيلة.

فرأينا أم عمارة تحضر معظم غزوات الرسول ﷺ تخدم المجاهدين، وتحرض المقاتلين، وتثبّت المتردّدين، وتقوم على الجرحى، وتحمل الماء للعطاش، فإذا جدّ الجد أو انفرط العقد،

وناداها الموقف شهرت سلاحها، وقاتلت قتال الأبطال، وثبتت ثبات الجبال وكأنها هي المسئولة الوحيدة عن الإسلام وانتصاره.

وهذه قمة الشعور بالمسئولية التي جعلت من هذه المجاهدة مثالاً رائعًا باركه النبي ﷺ في صادق كلماته، وخلّده التاريخ في أنصع صفحاته التي كان منها الصفحة البهية التالية:

بعد هزيمة قريش في بدر، جاءت قريش بأبطالها وفرسانها .. مشحونة بالحقد والكراهية للمسلمين.. تريد الثأر ليوم بدر، فلما خرج إليهم النبي ﷺ وأصحابه عند جبل أحد وقد أعدوا خطتهم المحكمة وبدأ القتال، كانت الجولة الأولى للمسلمين .. ولاحت تباشير النصر، فاشتد ضغط المسلمين على المشركين حتى فرّ أكثرهم من الميدان، وهنا حدثت كارثة .. حيث بدأ رماة جيش المسلمين الذين أمرهم الرسول ﷺ بحماية ظهور المسلمين ينزلون من فوق جبل أحد مخالفين بذلك لأمر الرسول ﷺ، الذي شدّد عليهم ألا ينزلوا من فوق الجبل مهما حدث، ولكنهم لما رأوا الدائرة على المشركين، وفرارهم من ميدان المعركة، أقبل الرماة يريدون جمع الغنائم والأسلاب، وهنا التفت خالد بن الوليد قائد خيالة المشركين يومئذ إلى ما حدث، وانتبه لتلك الثغرة، فعاد إلى الميدان مع من بقي معه من المشركين، وأعملوا سيوفهم في الرماة، وأعاد بذلك إلى المشركين توازنهم وتماسكهم، فارتدوا إلى الميدان،

بينما وقع الاضطراب في صفوف المسلمين، وتساقط شهداؤهم، وفرّ الكثير منهم عن الميدان بعد هذه المفاجأة المذهلة، حتى إن النبي ﷺ أصيب في وجهه الشريف وجرح.

وهنا تجلّى دور أمّ عمارة، فعندما رأت ما حاق بالمسلمين شعرت بمسئوليتها الفردية عن حفظ النبي ﷺ من سهام المشركين وسيوفهم، ولم تَكِلْ هذا الأمر الخطير إلى وجود رجال في المعركة، فبرزت إلى قلب المعركة، وساحة المعمعة، معرِّضة نفسها لضربات المشركين الذين كان جلّ همهم قتل النبي ﷺ ؛ لتدافع عنه ﷺ بكل ما أوتيت من قوة وشجاعة وثبات، وتروي لنا ذلك فتقول: «فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال دونه، وأذبّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ».

وقد أشاد الرسول ﷺ بموقفها وثباتها في هذا اليوم العصيب فقال ﷺ: «مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلا شِمَالاً إِلا ورَأَيْتُهَا تُقَاتِلُ دُونِي».(١)

وهكذا كانت أمّ عمارة عالية الهمة، فائقة الطموح، تبادر وتسابق إلى المكرمات ومواطن النبل والشرف، فاستحقت بذلك دعاء النبي ﷺ لها ولأهل بيتها حين رآهم حوله في ميدان المعركة يتسابقون إلى الشهادة: «اللهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الجَنَّةِ».(٢)

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: مكتبة صادر، ج٨، ص٤١٥.
(٢) المصدر السابق، ج٨، ص٤١٥.

٣- صفية بنت عبد المطلب.. الحارسة:

إنها شقيقة عم النبي ﷺ حمزة، وأمّ حواري النبي ﷺ الزبير، كانت من المهاجرات الأُوَل، وكانت كأخيها جريئة شجاعة في الحق، لا تنتظر أن يملي عليها أحد ما يجب أن تفعله حين يفرض الواجب عليها أمرًا، بل تكون من المبادرات إلى اقتراح المفيد والنافع، ثم التنفيذ بنفسها إن لزم الأمر ولو لم يطلب منها؛ مادام فيه جلب خير محقق أو دفع خطر مؤكد.

وها نحن نراها في مشهد أكثر من رائع، وذلك حين شهدت غزوة الخندق، وكان النبي ﷺ إذا خرج من المدينة لقتال عدوه رفع أزواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت -وكان أحصن الأماكن في المدينة- فمرّ رجل يهودي وجعل يطيف بالحصن، فقالت: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدلّ علينا مَن وراءنا من يهود، وقد شغل عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فلابد من أحد ينزل إليه ليقتله.

إن شعورها بالمسئولية عمن معها من المسلمات -دون أن تُكلّف بذلك- جعلها تراقب أرجاء المكان، وتستطلع حولها فائدة تجنيها أو مضرة تزيلها، وقد كان ما توقعت، فأسرعت تفكّر في خطورة موقف النساء، وخطورة موقف الرسول ﷺ، وتقترح الحلّ لهذا الخطر الوشيك.

وإذ لم تجد من يعينها على درء هذا الخطر، بادرت إلى النهوض بنفسها فأخذت عمودًا، ثم نزلت من الحصن فضربت اليهودي بالعمود فقتلته، ثم رجعت إلى الحصن.(١)

وفي رواية أخرى: أنها تقدّمت إلى اليهودي حتى قتلته وقطعت رأسه، ثم أخذت الرأس فرمت به على اليهود، فقالت اليهود: قد علمنا أن محمدًا لم يكن ليترك أهله خلوفًا(٢) ليس معهم أحد، فتفرّقوا وذهبوا.(٣)

وفي هذا لنا درس في التقدّم والمبادرة لحمل المسئولية وتكاليفها إن لم يطق الآخرون حملها، وعدم الاكتفاء بالاقتراحات ما دمنا نقدر علي المهمات.

٤- أم سُلَيم.. الثابتة:

صحابية من الأنصار، ونموذج رائع للزوجة الصالحة، ومَثَل رفيع للمرأة المسلمة في إرادتها القوية، وإيمانها العميق، وحماستها لنصرة دين الله، والعمل له، لا يعوقها عن ذلك عائق، ولا يثنيها عن طلب المعالي مجهود.

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٧٤٤.

(٢) أي دون رجال يحفظونهم.

(٣) رواه البزار في مسنده، وذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥٢٢.

فها هي تعلم بخروج المسلمين مع الرسول ﷺ لفتح مكة، وفيهم أبو طلحة زوجها، وكانت حاملاً في شهورها الأخيرة، ولكن حَمْلها لم يمنعها من الرغبة والتصميم علي مرافقة زوجها أبي طلحة لتغنم معه شرف الجهاد في سبيل الله غير عابئة بوعثاء السفر، ولأواء الطريق، وصعوبة المركب، وأشفق عليها زوجها من هذا كله، ولكنه أمام إصرارها لم ير بدًا من استئذان الرسول ﷺ، فأَذِنَ، وقَرَّتْ أم سليم عينًا بمرافقة زوجها الحبيب وشهدت معه نصر الله والفتح.

ولكن نفسها المفعمة بحب الإسلام، وكراهية الشرك، كانت تتشوق إلى دور كبير في خدمة الإسلام والمسلمين، وجاءتها الفرصة.. فلم تمض إلا أيام معدودات حتى كان يوم حنين، فاقتنصت الفرصة للخروج مع المجاهدين، وفي هذا اليوم زُلزل المسلمون زلزالاً شديدًا، وتراجعوا مدبرين لا يلوون على شيء، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: أين أيها الناس؟ هلموا إلي.

وفي وسط هذا الخطر المروع شعرت أم سليم أنها مسئولة عن حفظ حياة الرسول ﷺ، والدفاع عن الإسلام في واحدة من معاركه الفاصلة، فبادرت إلى الاقتراب من النبي ﷺ لا تخشى سيفًا أو رمحًا أو سهمًا، ولم يكن قد ثبت مع رسول الله ﷺ سوي نفر قليل من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وقد رآها رسول الله ﷺ حازمة وسطها ببُرْدٍ لها وإنها لحامل، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن

يوقعها الجمل، فأدنت رأسه منها وأدخلت يدها في خزامته[1] ليثبت ولا يلحق بالجمال الفارّة، ويناديها رسول الله ﷺ: «أم سليم»، وتجيب: «نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله».[2]

أجابت النبي ﷺ بمقتضى عقيدتها الراسخة، وشعورها بمسئوليتها عن صناعة النصر لدين الله، وإبعاد عار الهزيمة عن جنده.

وفي صحيح مسلم: إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها، فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟ » قالت: «اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه»، فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

كان هذا الاستعداد مصدر بِشْر من الرسول ﷺ أول المعركة، فلما حَمِيَتْ المعركة، واشتد الكرب، ورأى النبي ﷺ مبادرتها إلى تحريض المؤمنين على الثبات، وثباتها هي نفسها حين فرّ الكثيرون، حتى كتب الله للمؤمنين النصر، حمد لها صنيعها، وأثنى عليه، بل وبشرها رسول الله ﷺ بالجنة، فعن جابر ﷺ قال: قال ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ.. ».[3]

(١) الخزامة: حلقة من شعر تجعل في أنف البعير.

(٢) انظر: د٠محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة، دار البشائر الإسلامية، بيروت: لبنان، ط٥، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ص٨١، بتصرف.

(٣) المرجع سابق، ص ٨٢، بتصرف، والحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

٥- أسماء بنت يزيد الأنصارية.. المُؤازرة:

من النساء الصحابيات اللاتي كان لهن دور بارز في المجتمع الإسلامي قولاً وعملاً وجهادًا، في نشر دعوته، وإعلاء كلمته، فكانت نموذجًا يُحتذى، ونبراسًا يُستضاء به.

فما إن خالطت بشاشة الإسلام قلبها حتى تحولت إلى نهر من البذل والعطاء لا يعرف التوقف أو النضوب، وقد شهدت أسماء كثيرًا من الأحداث الهامة في الإسلام، وكانت دائمًا تسابق فيها إلى مؤازرة الحق، وتدعيم أركانه، والتضحية في سبيله، (فقد شاركت الرسول ﷺ في غزوة الخندق، وخرجت معه إلى الحديبية وشهدت بيعة الرضوان -وكانت بيعة على الموت- وشاركت في غزوة خيبر، وظلت تقدم جهدها المشكور للإسلام وقضاياه حتى تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنها راضٍ، ومع ذلك لم تتكاسل أو تخلد إلى الراحة، ولم تتوقف بعد وفاته عن نصرة الإسلام، مستشعرة أن هذا من واجبها الذي لا يحمله عنها غيرها، فخرجت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة إلى بلاد الشام وشهدت معركة اليرموك تسقي العطاش، وتضمّد الجرحى، وتشجّع المجاهدين على الإقدام والصمود).[1]

وفي يوم من أيام المعركة الشرسة يتكاثر جند الروم على جند

(١) انظر: د٠محمد علي الهاشمي، مرجع سابق، ص(٨٥-٨٤).

المسلمين، ويشتد ضغطهم، فتترك أسماء ما جاءت لأجله وقد استشعرت الخطر على جيش المسلمين، وتبادر إلى نزول أرض المعركة والجهاد إلى جانب الرجال -ولم تكن لتفعل لولا عظم شعورها بالمسئولية تجاه دينها وربها والمسلمين- وأظهرت من ضروب الشجاعة والبسالة والإقدام مالم يبده كثير من الأبطال، وانغمرت في صفوف القتال، وأخذت تضرب أعداء الله ذات اليمين وذات الشمال حتى قتلت تسعة من الروم[1].

نعم خرجت لتسقي العطشى .. و لكن عندما تأزمت المعركة، وحمي الوطيس أدركت أن الواجب يحتم عليها أن تجاهد بما في وسعها وطاقتها، ولم تنتظر أن يطلب منها أحد مساعدة أو عونًا.

٦- أزدة بنت الحارث.. الناصرة:

مجاهدة خاضت ساحات الوغى بكل بسالة ورباطة جأش، وحازت النصر المبين على الأعداء، فقد ذكر المؤرخون أنه:

أجمع أهل ميسان[2] للمسلمين وعليهم الفليكان -قائد من الفرس- فلقيهم المغيرة بن شعبة بالمرغاب[3] وقد خلف العدو دون دجلة.

(١) انظر: المرجع السابق، ص٨٥، بتصرف.
(٢) ميسان: بلدة كبيرة كانت بالعراق.
(٣) المرغاب: نهر بالبصرة. وقيل غير ذلك.

فقالت أزدة بنت الحارث: إن رجالنا في نحر العدو ونحن خُلُوفٌ[1]، ولا آمن أن يخالفوا إلينا وليس عندنا مَن يمنعنا، وأخرى أخاف أن يكثر العدو على المسلمين فيهزموهم، فلو خرجنا لأمِنَّا مما نخاف من مخالفة العدو إلينا، ويظن المشركون أننا عدد ومدد قد أتى المسلمين فيكسرهم ذلك وهي مكيدة.

إنها لا تفكر فقط في حفظ النساء، بل تدبر وتخطط لمكيدة تهزم بها جيش الأعداء، فمن أي فعلها نعجب ونبهر؟ لقد كان شعورها بالمسئولية تجاه قومها وإسلامها مثاليًا، وكم من انتصارات يمكن أن يحققها المسلمون لو اقتدوا بهذا النموذج الفريد!

فأجابها النساء إلى ما رأت، فاتخذت لواءًا من خمارها، واتخذت النساء رايات من خمرهن ومضين وهي أمامهن وهي تقول:

يا ناصر الإسلام صفًا بعد صف إن تهزموا وتدبروا عنا نخف

ثم انتهين إليهم والمشركون يقاتلونهم، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن عددًا ومددًا أتى إلى جيش المسلمين، فانكشفوا واتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة.[2]

(١) خلوف: أي رجالهم غيّب.

(٢) انظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ص(٤١-٤٢).

بمثل هذه الروح، وبمثل هذا الشعور بالتبعة، والمبادرة إلى استثمار الطاقات المعطلة لدينا ولدى الآخرين، فلنفهم المسئولية الذاتية إذا أردنا أن نفيد أمتنا، ونرضي خالقنا.

٧- ملك حفني ناصف.. باحثة البادية:

كاتبة اجتماعية كبيرة ولدت بالقاهرة سنة (١٨٨٦م) لأسرة تهتم بالعلم والأدب، دخلت المدرسة السنية وتعلمت بها العلوم الابتدائية، وحَصَلَتْ منها على الشهادة الابتدائية سنة (١٩٠٠م)، وهي أول سنة تقدّمت فيها الفتيات لأداء الامتحان للحصول على تلك الشهادة، ثم انتقلت إلى القسم العالي بالمدرسة المذكورة وحصلت على شهادتها العالية.

وكانت (ملك) شديدة الحب لقومها، شديدة الغيرة على وطنها، شديدة التألّم لما تراه من علامات التأخر والانحطاط في البيئة المصرية، فلما رأت حاجة قومها إلى الإصلاح قررت أن تفعل كل ما بوسعها إرشادًا وتربية وتوجيهًا، وراحت تكتب وتخطب ناشدةً الإصلاح الشامل لمشكلات المجتمع، واشتغلت بالتعليم في مدارس البنات الأميرية، وأخذت تطوف منازل صاحباتها ومعارفها لتقنعهن بإرسال بناتهن إلى المدارس.

ثم تركت التعليم بالمدارس واشتغلت بالتعليم العملي في بيت زوجها؛ فكانت تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها لا لسبب سوى أن

تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يتركن بيوتهن إلى من لا يحسنّ القيام عليها والتدبير فيها، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع والبلاء الشديد، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها عكفت على قراءة الكتب النافعة، وتَعَرُّف أحوال السيدات، وزيارة مدارس البنات، وفحْص مناهج التعليم بها؛ ليتكون لها رأي صحيح، وفكر ناضج في تربية البنات، وإصلاح حال الأمهات، وظلت تستسهل في ذلك الصعب، وتستحلي المرّ بهذا الفيض المتدفق من الشعور بمسئوليتها تجاه قومها ووطنها.

ثم جعلت من بيتها ناديًا يقصده كثير من السيدات الغربيات والشرقيات فيستنرن بأفكارها وتوجيهاتها وآرائها، وكانت (مَلَك) تجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية، فاستثمرت ذلك لخدمة أهدافها النبيلة، وكانت خطيبة تخطب في السيدات، فجمعت مرة في دار الجريد ومرة في الجامعة عدة مئات من السيدات وخطبت فيهن خطبتين نفيستين، ظهر فيهما الاعتدال وحرصها على جنسها، وإجهاد نفسها للبحث عما يهمه من الأمور.

ولم تكتف ملك بكل ما سبق، بل كان لها السبق والريادة في إنشاء العديد من المشروعات التي تخدم المجتمع عامة، والمرأة خاصة، ومنها أنها أسست اتحاد النساء التهذيبي، ووضعت برنامجًا لمشغل هام لم تتمكن من تنفيذه، وجمعت كثيرًا من التبرعات لمنكوبي طرابلس، وأسّست مدرسة في بيتها لتعليم التمريض بمناسبة الحرب العالمية.

الأولى، وقد حاكت بيدها (١٠٠) بدلة كاملة للهلال الأحمر المصري، ولم يكن شيء من ذلك ينسيها ما يجب عليها لزوجها وذوي رحمها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر وأعوزتهم الحاجة، وأشدّ ما كان برها لوالدها.

وأما في الخارج فكان لها صاحبات ومكاتبات لكثيرات منهن، وقد أَطْنَبَتْ في مدحها (إليزابيث كوبر) الكاتبة الأمريكية التي أهدت إليها كتابها المرأة المصرية، واعترفت أن باحثة البادية أفادتها وصححت لها كثيرًا من أخطاء رأيها عن المصريات.

وكانت إلى جانب ذلك صاحبة مؤلفات قيمة علمية وأدبية.

وهكذا عاشت (ملك) سراجًا متوهجًا تنشد الهداية لبنات جنسها، والتقدم لمجتمعها، لم تبخل بجهد أو مال، ولم تخلد إلى الراحة وقد رأت حاجة ماسة إلى الأخذ بزمام المبادرة لخدمة قضايا أمتها، فكانت من الرائدات المصلحات.[1]

٨- لبيبة أحمد:

ولدت في سنة (١٨٧٥م) في أسرة كريمة اهتمت بتعليمها دروس العربية على أيدي سيدات فضليات، ثم التحقت بالمدرسة

(١) انظر: عبد البديع صقر، نساء فاضلات، القاهرة: دار لاعتصام، (د٠ت)، ص(١١٨-١٢٤)، بتصرف.

السنية بعد أن استكملت دراسة السيرة النبوية وآداب الشريعة في منزلها، فكانت كباحثة البادية ذات صلة وثيقة بمعارف الإسلام، وأخذت تكتب في الصحف كلمات هادفة بتوقيع مستعار، حتى جاءت ثورة سنة (١٩١٩م)، ورأت من الضرورة أن تدع العزلة جانبًا، وتنضمّ إلى الثورة الوطنية مع هدى شعراوي ونبوية موسى، وبجهود هؤلاء قامت المظاهرة النسائية يوم الأحد (١٦/ مارس/ ١٩١٩م) احتجاجًا على فظائع الإنجليز في مقاومة الثورة، وتنديدًا بقتل الأبرياء، وإطلاق النيران على المتظاهرين في تجبّر غاشم.

وكان نجاح المظاهرة سببًا في تأليف الاتحاد النسائي بزعامة السيدة هدى شعراوي، وهنا نجد طريقين مختلفين في سير النهضة النسائية بمصر، طريق الاتحاد الذي تزعمته السيدة هدى هانم شعراوي، وهو طريق يتخذ الطابع السياسي متأثرًا بظواهر التمدن الأوربي، وداعيًا إلى تقاليد لا تنبع من صميم الأعراف المصرية، أما الطريق الآخر فطريق التربية الإسلامية الصحيحة التي تعتمد على أصول الشريعة وأخلاقيات القرآن الكريم، وكان الظنّ بهذا الطريق أن يجد التأييد التام، لكنّ الصحافة المغرضة أفسحت صفحاتها للدعاة إلى السفور والاختلاط، وجعلت التقدم النسوي وقفًا على احتذاء المرأة الأوربية.

وفي هذا الجو العاصف بشتى الآراء، قررت السيدة لبيبة أحمد بعد أن شعرت بخطر هذه الدعوات على المجتمع أن تصنع شيئًا، ورأت أن تُنْشِئَ مجلة «النهضة النسائية»، فدعت من يوافقنها في الاتجاه إلى عدة اجتماعات بمنزلها الشهير بالسبتية، وجعلت هذا المنزل مقرًا لجمعية أسمتها «جمعية نهضة السيدات المصريات» لتقف بها ضد حفلات الصالونات الأرستقراطية التي تجتذب سيدات المجتمعات إلى تقاليد السفور الكاشف، والإسراف المبتذل، وكان كفاح الجمعية شاقًّا؛ لأنه قوبل بسخرية أقلام لا تودّ للمرأة اتزانًا هادئًا، بل تود أن تقذف بها في لُجَجِ الحيرة والاضطراب.

وقد بدأت جمعيتها خطواتها بجمع التبرعات لإنشاء «دار اليتيمات» لتكون ملجأ وعونًا لمن فَقَدْنَ العائل من البنات الصغيرات، فَيَجِدْنَ الرعاية التامة غذاء وكساء وتربية وتثقيفًا، وهو عمل لم يجد من الدولة على أهميته البالغة أدنى مراتب التشجيع، وإنما وجد من السيدة «لبيبة أحمد» وصديقاتها الكريمات مَنْ مَدَدْنَ يد العون، وكان تَخَرُّج هؤلاء الفتيات من الدار بعد أن تزودن بالمعرفة، وحصلن على ما يؤهلهن للكسب عن طريق الحياكة والتطريز وصنع المآكل المرغوبة، كان تَخَرُّج هؤلاء الفتيات ونجاحهن في مقاومة الحياة الكادحة، أكبر ثمرة دالة على العمل الجاد.

كذلك حرصت السيدة لبيبة أن يكون لها دور في إرشاد وتوجيه المجتمع، وانتشاله من وهدة دعوات التحلل والسفور، فأصدرت مجلة

«النهضة النسائية» التي واصلت رسالتها الرائدة عشرين حجة لا تنقطع عن الصدور.

وكانت افتتاحيات مجلة «النهضة النسائية» التي دأبت السيدة «لبيبة أحمد» على كتاباتها كل شهر تقدم تاريخًا حيًا للنهضة النسائية الصحيحة يحاور ما يكتب من مقالات الادعاء، كما أن المجلة نفسها تقدّم خطوات الكفاح الجاد في سبيل الخلق الفاضل، والأسرة الواعية، والنشء العزيز.(١)

وبعد، فإن ما قامت به هذه المرأة المسلمة من اكتساب العلم والمعرفة، وإنشاء الجمعيات ودور الأيتام والمشاركات السياسية، وإقامة ذلك الصرح المعرفي «مجلة النهضة النسائية» ... إلخ، كل هذه الأعمال ما هي إلا مبادرة ذاتية من نفسها انطلاقًا من شعورها بالمسئولية الفردية تجاه نفسها و دينها ومجتمعها وأمّتها.

٩- زينب الغزالي:

ساومها أكبر وأخطر جهاز أمني في بلدها على ترك الدعوة إلى الله، أو إغلاق مركزها العام للسيدات المسلمات، مقابل أن يجعلوها رئيسة تحرير مجلة السيدات المسلمات، وتكون صاحبة الامتياز

(١) انظر: د٠محمد رجب البيومي، السيدة لبيبة أحمد، مجلة منبر الإسلام، القاهرة، السنة (٥٨)، العدد(٧)، (رجب١٤٢٠هـ)، (أكتوبر-نوفمبر١٩٩٩م)، ص (١٠٤- ١١٣) بتصرف واختصار.

وبراتب ٣٠٠ جنيه شهريًّا- لاحظ أن ذلك في الستينات- على أن ألا يكون لها شأن بما يُكتب في المجلة، فقالت: مستحيل أن تصدر مجلة السيدات المسلمات من مكاتب المخابرات لتنشر علمانية عبد الناصر..

فعرضوا عليها إعادة المركز العام، وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنويًّا على أن يكون من مؤسسات الاتحاد الاشتراكي، فكانت إجابتها: إن شاء الله لن يكون عملنا إلا للإسلام، إن الذين يتكسبون بالإسلام لا يستطيعون خدمته.

وقالوا لها: لو تفاهمت معنا لأصبحت من الغد وزيرة للشئون الاجتماعية. فضحكت ساخرة وقالت: المسلمون لا تغريهم المناصب.

ولما حُكم بالإعدام على كثير من إخوانها الدعاة جندت نفسها لتكون في خدمة ذويهم، وتقول عن تلك الفترة: كانت صرخات اليتامى الذين فقدوا آبائهم بالتعذيب، ودموع النساء اللاتي ترملن وأزواجهن خلف السجون- ينفذ إلى أعماقي.. ووجدت نفسي وكأني من المسئولين عن ضياع الجياع وجراح المعذبين.. وأخذت أقدم القليل.

فهكذا كانت ترى ما تفعله دائما قليلاً أمام همتها العالية وتواضعها الجم.

ولما انشغلت بالدعوة ونشاطها وأراد زوجها أن يتباحث معها في خطورة ما يمكن أن تتعرض له، قالت: إذا تعارضتْ مصلحتك الشخصية وعملك الاقتصادي مع عملي الإسلامي، ووجدتُ أن حياتي الزوجية ستكون عقبة في طريق الدعوة وقيام دولة الإسلام، فسنكون على مفترق طريق.. أنا لا أستطيع أن أطلب منك اليوم أن تشاركني هذا الجهاد، ولكن من حقي أن أشترط عليك ألا تمنعني جهادي في سبيل الله، ويوم تضعني المسئولية في صفوف المجاهدين فلا تسألني: ماذا أفعل؟ ولتكن الثقة بيننا تامة.

كانت تسهر الليل تقرأ وتخطط وتناقش مستقبل الدعوة مع إخوانها، ولكن هذا النشاط المتدفق، والروح المتوثبة، والهمة المتوهجة لم تكن لتخفى عن أعين من يعرفون حجمها الحقيقي، وأثرها العميق في الحياة العامة وقتئذ، فتربص بها زوار الليل وخفافيش الظلام حتى أخذوها من بيتها إلى السجن.. إلى زنازين الاعتقال حيث أذاقوها من العذاب ما لا يصبر عليه أشداء الرجال مجتمعين.. فضلاً عن أن تحتمله امرأة فاضلة عفيفة، ووكلوا بها أكابر مجرمي السجن الحربي من ضباط وحراس؛ ليحيلوا حياتها داخل السجن إلى جحيم تلظى، وسعير تشوى فيه على مهل، مزقوا جسدها بالسياط حتى الإغماء،

وقذفوها بأقذع الشتائم والسباب.. علقوها.. وأثخنوها ضربًا وجراحًا.. وجوعوها.. وحاولوا انتهاك عرضها.. لم تتفتق أذهانهم

القذر■ عن وسيلة بشعة إلا واستعملوها؛ لإجبارها على قول ما يريدونه من كشف عن نشاطها، أو عمن تعمل معهم، أو حتى مجرد اعتذار لعبد الناصر فأبت، كل هذا ليس مرة أو يومًا، بل يتكرر يوميًا وأسبوعيًا وشهريًا وهي ثابتة صامدة.

وكلما نهشت الآلام جسدها ونخرت في عظامها تلجأ إلى الله في ضراعة قائلة: اللهم اشغلني بك عمن سواك، اشغلني بك أنت يا إلهي، يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد.. اشغلني عن الأغيار كلها، أوقفني في حضرتك، اصبغني بسكينتك، ألبسني أردية محبتك.

رأت النبي ﷺ في تلك المحنة العصيبة مرات، فكان ذلك يشد من أزرها ويضاعف عزيمتها على الصبر والثبات، ومما ترويه أنه ﷺ قال لها: «أنتم يا زينب على الحق.. أنتم يا زينب على الحق.. أنتم يا زينب على قدم محمد عبد الله ورسوله». فتقوم من نومها وهي لا تشعر بألم السياط ولا الصلبان التي علقوها عليها في الليل.

وفي وسط هذا الزخم الهائل من البلاء الفائق لم تكن تغفل عن دعوتها، وكلما طلبوا إليها أن تكتب لهم ما يملونه عليها من افتراءات، كانت تتخذها فرصة لتسطر كلمات تسطع بضياء الحق، وكان مما كتبته لزبانيتها مرة: «إن غايتنا أن ننشر دعوة الله وندعو للحكم بشرعه، إنني باسم الله أدعوكم أن تتخلوا عن جاهليتكم وتجددوا إسلامكم.. وتتوبوا إلى الله من هذه الظلمة التي رانت على قلوبكم.. اللهم اشهد أني قد بلغت دعوتك، فإن تابوا فتب عليهم».

فلا يزيد كلامها الطغاة إلا سعارًا، ففعلوا كل ما يخطر ببال الشياطين وما لا يخطر لإرغامها على التحول عن موقفها، ففشلوا فشلاً ذريعًا، وتحملت كل ما صنعوا مما لا تكفينا هذه الأسطر القليلة لسرد تفاصيله دون أن تبكي استعطافًا أو استرحامًا أو طلبًا لبعض الرأفة والراحة، حتى أجبرهم ماحلّ بجسدها الممزق على نقلها إلى المستشفى، وحتى في المستشفى لم يرحموها من الإيذاء والإكراه والقهر، ومع ذلك لم يظفروا منها بشيء.

وما كادت تسترد جزءًا بسيطًا من عافيتها حتى أعادوها ثانية إلى السجن الحربي؛ ليمارسوا معها هوايتهم المفضلة في التعذيب والتنكيل بها، ومع ذلك ما وهنت لها عزيمة، ولا أسلمت لهم عنانها.

كان كل ما روينا هنا وتحدثنا عنه مشاهد بسيطة من مسلسل طويل من التعذيب والتجويع والإفزاع والتنكيل في مقابل صبر منها وثبات يضاهي الجبال في رسوخها، وموقف حفظه لها التاريخ ودعوة الله، وإيمان عميق بالفكرة والمبدأ، ووفاء عظيم للرسالة التي اختارتها.

* * *

خاتمة

وبعد.. فإنه من استعراض الصفحات السابقة لاحظنا أهمية إدراك المرأة المسلمة لمسئوليتها الفردية، وأبعاد ومجالات هذه المسئولية، ولم يبق إلا جانب التطبيق العملي، فتأخذ المرأة المسلمة المفاهيم التي عرضناها وتحوّلها -انطلاقًا من مسئوليتها الفردية- إلى برنامج عملي تقوم به، وتعمل على إنفاذه لتكون لبنة من لبنات الصلاح والإصلاح، وتكون مؤهّلة للحاق بقافلة الخير.

* * *

المراجع

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية، (د.ت).
- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار المعرفة، ط٩.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط١٦، ١٩٩٠م.
- شركة حرف، موسوعة الحديث الشريف، الإصدار (٠, ٣)، ٢٠٠٢.
- دار الحديث النبوي، برنامج المحدث، دمشق.
- أبو سليمان الخطابي، معالم السنن، القاهرة: مكتبة ابن تيميه، (د.ت).
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الموسوعة الفقهية، ط٢، ١٩٩٢م.
- د. عبد الكريم زيدان، المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧م.
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (تحقيق: محمد حامد الفقي ومحمد عبد الرحمن الطيب)، القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- البهي الخولي، الإسلام والمرأة المعاصرة، الكويت: دار القلم، ط٤، ١٩٨٤م.
- هبة رؤف عزت، المرأة والعمل السياسي (رؤية إسلامية)، (رسالة ماجستير)، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م.

- جميلة مصدر، واجبات المرأة المسلمة ومسئولياتها، مؤتمر المرأة، الدورة السادسة، (٨-٩ رجب ١٤١٩هـ/ ٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٨م)، المغرب.
- مها عبد الله عمر، الأمومة ومكانتها في الإسلام (رسالة ماجستير)، الرياض: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م.
- عبد الحليم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، القاهرة: دار القلم، ط٤، ١٩٩٥م.
- د. توفيق الواعي، النساء الداعيات، المنصورة: دار الوفاء، ط ٣، ١٩٩٣م).
- عبد البديع صقر، نساء فاضلات، القاهرة: دار الاعتصام، (د.ت).
- د. محمد رجب البيومي، السيدة لبيبة أحمد، مجلة منبر الإسلام، القاهرة، السنة (٥٨)، العدد (٧)، (أكتوبر - نوفمبر) ١٩٩٩م.
- د. محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة، دار البشائر الإسلامية، لبنان: بيروت، ط٥، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨٤م.
- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، طنطا: دار البشير، (د.ت).
- عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة، بيروت: دار الفكر، ط ٣، ١٩٩٨م.

- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بتحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢م.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ.
- ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، ود. محمد رواس قلعجي، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٩م.
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت:دار صادر، د.ت.
- د. علي عبد الحليم، فقه المسئولية، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٥م.
- محمد أحمد الراشد، الرقائق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٤، ١٩٩٣م.
- محمد أحمد الراشد، المسار، طنطا: دار البشير، (د.ت).
- محمد أحمد الراشد، صناعة الحياة، طنطا: دار البشير، ط٣، ١٩٩٤م.
- د. عبد الله يوسف، الإيجابية في حياة الداعية، طنطا: دار البشير، ط ٢، ١٩٩٤م.

* * *

الفهرس

مقدمة ٣

أولاً: التأصيل الشرعي للمسئولية الفردية للمرأة المسلمة

١- المساواة الإنسانية.................................. ٥

٢- أهلية التكليف ٦

٣- وحدة الجزاء والحساب.............................. ٨

ثانياً: مجالات المسئولية الفردية للمرأة المسلمة

المجال الأول: مسئولية التطوير الذاتي........................ ٩

المجال الثاني: المسئولية الفردية في رعاية الأسرة ١٨

المجال الثالث: الذاتية في الدعوة......................... ٢٢

المجال الرابع: ذاتية التفاعل مع مؤسسات المجتمع........... ٢٤

ثالثًا: مفاهيم خاطئة حول المسئولية الفردية

١- الاعتماد على التكليفات دون المبادرة الذاتية........... ٣٠

٢- ارتباط فكرة الخمول والانسحابية بالتقوى ٣٢

٣- اعتقاد أنه لا ليس في الإمكان أبدع مما كان ٣٤

رابعاً: نماذج من المسئولية الفردية في بعض الشخصيات النسائية

١- أم شريك الدوسية.. الداعية ٣٧

٢- نَسِيبة بنت كعب..السَّباقة ٣٨
٣- صفية بنت عبد المطلب .. الحارسة ٤١
٤- أم سُلَيم .. الثابتة ٤٢
٥- أسماء بنت يزيد الأنصارية.. المُؤازِرة........................ ٤٥
٦- أزدة بنت الحارث..الناصرة ٤٦
٧- ملك حفني ناصف (باحثة البادية) ٤٨
٨- لبيبة أحمد ٥٠
٩- زينب الغزالي........................ ٥٣
خاتمة ٥٨
المراجع........................ ٥٩
الفهرس........................ ٦٢

* * *

هذا الكتاب

يَهْدِف هذا الكتيب إلى بيان معنى المسئولية الفردية، ووجوب استشعار المرأة المسلمة لهذا المعنى، وتأصيله من حيث الرؤية الشرعية، كما يهدف إلى بيان أبعاد ومجالات المسئولية الفردية للمرأة المسلمة، وينبه على بعض المفاهيم الخاطئة حول مفهوم المسئولية الفردية، ثم يعرض نماذج تطبيقية من المسئولية الفردية من بعض الشخصيات النسائية على مدار التاريخ الإنساني.

قطر الندى

ت: ٠١٠٦٠٩٩٥٣٨

E_mail: katrelnada@gawab.com